بسم الله الرحمن الرحيم

المشورة – 14 –

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء وسيّد المرسلين، سيّدنا وحبيبنا محمّد، وآله وصحبه أجمعين.

أرحّب بالسادة العلماء الأفاضل الأحبّة الكرام أحييكم جميعا بتحية الإسلام السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

أما بعد:-

لا زلنا متشرفين بالآية الأخيرة من سورة المزمّل، وصلنا إلى قول الله تبارك وتعالى:-

{--- عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَى وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ---} [سورة المزمل: 20]

الحقيقة كما ذكرت من قبل وأؤكد أنّي لا أفسّر الآن القرآن الكريم وإنّما أذكر بعض ما أفهم من كتاب الله تعالى إلّا فهمًا أوتيه عبد من عباد الله سبحانه، كما قال سيّدنا عليّ كرّم الله تعالى وجهه ورضي عنه، لمّا سُئِل: هل عندكم شيء، يعنى كأنّما مخفيّ من رسول الله صلّى الله تعالى وسلّم عليه وآله وصحبه ومَنْ والاه؟ قال: لا ما عندنا نحن إلا هذا الكتاب، وعندي ورقة كاتب فيها بعض النصوص:-

عَنْ سَيِّدِنَا أَبِي جُحَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ، قَالَ:

(قُلْتُ لِعَلِيٍّ رَضِـــيَ اللَّهُ عَنْهُ: هَلْ عِنْدَكُمْ شَـــيْءٌ مِنَ الوَحْيِ إِلَّا مَا فِي كِتَابِ اللَّهِ؟ قَالَ: لاَ وَالَّذِي فَلَقَ الحَبَّةَ، وَبَرَأَ النَّسَـــمَةَ، مَا أَعْلَمُهُ إِلَّا فَهْمًا يُعْطِيهِ اللَّهُ رَجُلًا فِي القُرْآنِ، وَمَا فِي هَذِهِ الصَّـــحِيفَةِ، قُلْتُ: وَمَا فِي الصَّـــحِيفَةِ؟ قَالَ: العَقْلُ، وَفَكَاكُ الأَسِيرِ، وَأَنْ لاَ يُقْتَلَ مُسْلِمٌ بِكَافِرٍ) الإمام البخاري رحمه الباري جلّ وعلا.

أو فهمًا أوتيه عبد من عباد الله جلّ جلاله، فالإنســـان يفهم من كلام الله تبارك اسـمه ولا يزعم أنَّ فهمه هذا هو تفسـيرٌ، فالتفسـير له أصـوله وقواعده، ففهم الإنسان يقول: هذا حسب فهمي هكذا، إنْ كان صوابًا فمن فضل الله عزّ شأنه، وإنْ كان خطأ فمن نفسـي وأسـتغفر الله العظيم منه، نعوذ بالله سـبحانه من شـرّ نفسي.

قلت: إنّ الله تبارك في علاه جعل قيام الليل مطلقًا في أي جهد يبذله العبد مع حضوره مع ربه عزّ وجلّ، أي خير يفعله العبد ليلا بعد الاستيقاظ من نومه، أو حتّى لو لم ينم وهو قاصد بهذا الخير وجه الله تعالى، مستحضر عظمة الله عزَّ وجلّ، فهذا يعتبر من قيام الليل، لكن الصلاة لا تسمّى تهجّدًا إلّا إذا نواها تهجّدًا، ولها أحكامها الفقهية كما لا يخفى على حضـــراتكم، هذا الجهد الذي يبذله العبد ليلا هو صورة من صور تقوية الصلة بالله جلّ شأنه:-

{إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا} [سورة المزمّل: 6]

فإذنْ: قد يكون سبيل العبد إلى ربه سبحانه من خلال القيام، والقيام يصح حتّى بين المغرب والعشـــاء، فقد دخل الليل، ولذلك تقرأون أنّ بعض الســـلف كانوا يقومون بين المغرب والعشـــاء بســـت ركعات، أو بعشـــرين ركعة، أو بثمان ركعات، أو بأكثر من ذلك، وهناك روايات بالتحديد بالســـتة ركعات وإنْ كانت ضـــعيفة لكن جمهور أهل العلم أنّ الرواية الضـــعيفة يُعمل بها في فضـــائل

الأعمال، وهل هنالك فضيلة في الشعائر التعبدية بعد الفرائض أفضل من قيام الليل، بالتأكيد لا؛ لأنّ الرسول الأعظم صلّى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلّم أجاب على هذا السؤال، وبيّن أنّه:-

(--- وَأَفْضَلُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الْفَرِيضَةِ، صَلَاةُ اللَّيْلِ) الإمام مسلم رحمه المنعم جلّ وعلا.

لماذا أذكر هنا السبيل؟ لأنّ قبلها قال تبارك وتعالى:-

{إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا} [سورة المزمل: 19]

فقد يكون سبيلك الأمثل بعد الفرائض في قيام الليل، وقد يكون سبيلك الأمثل بعد الفرائض هو القيام في الليل، ولزيد من الناس في التجارة والتصدّق منها، وإقراض النّاس منها، وإمهال المعسرين، وقد يكون السبيل لعبد آخر من حيث العلم ونشره وحفظه والتعمّق فيه إلى آخره، فهي سبل، وقد يقول قائل: ألم يقل رب العالمين:-

{وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ --

-} [سورة الأنعام: 153]

إذنْ هناك سبيل، وهناك سُبل، هذا (السبيل) بالمعرفة، إذا جاءت هذه الكلمة (السبيل) فيراد بها صُلبُ الدّين، وأصول الدِّين التي لا تتغيّر، كالعقائد مثلا، كالأخلاق، وهذه لا تتغير من دين إلى دين، فلا يقل نبيّ عليهم الصلاة والتسليم لا يوجد يوم آخِر، فآمنوا بالله جلَّ جلاله وعمَّ نواله، واعبدوا الله عزّ وجلّ، وهذا فقط، إنْ هي إلا حياتكم الدنيا، ولا يوجد يوم آخِر، ما جاء نبيّ من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وقال بهذا، لماذا؟ لأنّ هذا من الأصول، من أصول الدِّين فما يدخل تحت الأصول يدلّل عليه بلفظ السبيل، فعندما تقول هذا تفرّق عن سبيل الله عزَّ وجلّ بمعنى أنَّه غيّر في الاعتقاد أعوذ بالله تبارك وتعالى، وهؤلاء هم

المبتدعة نعوذ بالله جلّ وعلا الذين يُحدثون في العقائد، يبتدعون فيها ما لم يأمر الله عزَّ وجلّ، ولم يكن من أمرنا، ولكن هنا الله سبحانه وفي مثيلاتها من الآيات ذكر السبيل وصفًا نكرة، لم يقل: إنّ هذه تذكرة فمَنْ شاء اتخذ إلى ربه السبيلا، فقال سبيلا، وسبيلا نكرة، والنكرة تدلّ على العموم، أيْ أنّ ربّ العالمين يبيّن أنّ ما يتعلّق بالقربات، وما يتعلّق بالشعائر، وما يتعلّق بغير الأصول الشرعية في العقائد قد تتعدّد الطرق إليه والسبل إليه؛ لذلك في آية أخرى الذي يتابع سيجد أنَّ الله تعالى قال بعد أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم:-

{وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ} [سورة العنكبوت: 69]

فهو سبيل أم سبل؟ لا، بل سبل؛ لأنّ الله عزّ وجلّ قال: سبلنا، أي الطرق التي توصلهم إلى مقام الإحسان؛ لأنّه ذيّلَ الآية الكريمة بقوله:-

{وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ}

إذنْ هنا {إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا}

واحد يأخذ بالفرائض، لابُدّ من الفرائض، ولكن لمّا يأتي إلى المجاهدة فيرى أقربها إلى نفسه وما مكّنه الله عزّ وجلّ فيه، واحد مكّنه الله سبحانه في الأموال، هذا ينفق ويعطي حسب حاله مع الله جلّ في علاه، وقد يكون لا يصلّي السنّة القبلية، ليس متعمدًا، فلا يقول لن أصلّيها، لا فأحيانًا يصلّي، وأحيانًا لا يصلّي أيّامًا كثيرة، فيكتفي بالفرائض، قد يكون مشغولًا بالتجارة وبأسفاره، إلى آخره، ولكن لمّا يأتي فيما مكّنه الله عزَّ وجلّ فيه من الأموال يا سلام! يقترب من ساحة سيّدنا أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه في بعض أحواله، يقترب من ساحة سيّدنا الفاروق رضي الله تعالى عنه في بعض أحواله، ربّما يُلزِمُ نفسه بثلث ماله كما في:-

(بَيْنَا رَجُلٌ بِفَلَاةٍ مِنَ الْأَرْضِ، فَسَمِعَ صَوْتًا فِي سَحَابَةٍ: اسْقِ حَدِيقَةَ فُلَانٍ، فَتَنَحَّى ذَلِكَ السَّحَابُ، فَأَفْرَغَ مَاءَهُ فِي حَرَّةٍ، فَإِذَا شَرْجَةٌ مِنْ تِلْكَ الشِّرَاجِ قَدِ اسْتَوْعَبَتْ ذَلِكَ الْمَاءَ كُلَّهُ، فَتَتَبَّعَ الْمَاءَ، فَإِذَا رَجُلٌ قَائِمٌ فِي حَدِيقَتِهِ يُحَوِّلُ الْمَاءَ بِمِسْحَاتِهِ، فَقَالَ لَهُ: يَا عَبْدَ اللهِ مَا اسْمُكَ؟ قَالَ: فُلَانٌ - لِلِاسْمِ الَّذِي سَمِعَ فِي السَّحَابَةِ - فَقَالَ لَهُ: يَا عَبْدَ اللهِ لِمَ تَسْأَلُنِي عَنِ اسْمِي؟ فَقَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ صَوْتًا فِي السَّحَابِ الَّذِي هَذَا مَاؤُهُ يَقُولُ: اسْقِ حَدِيقَةَ فُلَانٍ، لِاسْمِكَ، فَمَا تَصْنَعُ فِيهَا؟ قَالَ: أَمَّا إِذْ قُلْتَ هَذَا، فَإِنِّي أَنْظُرُ إِلَى مَا يَخْرُجُ مِنْهَا، فَأَتَصَدَّقُ بِثُلُثِهِ، وَآكُلُ أَنَا وَعِيَالِي ثُلُثًا، وَأَرُدُّ فِيهَا ثُلُثَهُ) الإمام مسلم رحمه الله جلّ جلاله.

فإذن هو وحاله مع الله عزَّ وجلّ، ورجل آخر آتاه الله تعالى القرآن تجده أربعا وعشرين ساعة -وهذا نقوله من باب المبالغة ما يراد بها واقع حال، لا يوجد أحد يستطيع أنْ يعمل أربعا وعشرين ساعة- يعني القصد أنّه أكثر أوقاته جالس يعلّم أولاد وبنات المسلمين القرآن الكريم.

إذنْ: سبيلًا هنا نكرة؛ لأنّه لا يراد بها الأصول، وإنّما يراد بها الأسباب التي ترقّي العبد إلى الله تبارك وتعالى، ومن أعظم أسبابها في الشعائر قيام الليل، إحياء الليل، فلو جلست مع زوجتك بنيّة أنْ تعفّ نفسك وتعفّ زوجتك وتخلّلتْ جلستكم مواعظ واللهو المباح بالنيّة الطيّبة، فبهذه النيّة الطيّبة صار نوعًا من إحياء الليل، صار نوعًا من الوسائل والسبل التي تقرّبك من ساحات المحسنين بإذن رب العالمين جلّ جلاله، وهكذا.

إذنْ: الله تبارك وتعالى بيّن لنا من مواصفات الداعي أنّه يتحيّن السبل التي يقدر عليها، والتي ينساق معها،-وسبحان الله- الأذواق تختلف فتجد أحيانًا طالبَ علم ممتاز ما شاء الله عليه، وتقول له: يا أخي أنت فيك خير وبركة، وصوتك

جميل، قراءتك ممتازة، عندما تخطب في المسجد أنتَ خطيب مفوّه، ما شاء الله ومؤثر، عندما تجلس على كرســـيّ الوعظ ترتجف القلوب من وعظك، وتدمع العيون، يا حبيبي لماذا لا تأتي تأخذ لك مسجدًا؟ يقول: والله سامحني أنا لا أقدر على هذا الأمر، يعني روحانيته -سـبحان الله- والمواصـفات التي في داخله ما تنسـجم مع هذا التشـريف وهذا التكريم، فيقول: اتركني، وإنْ كان هناك احتياج نعم يمكن أنْ أساعد، لكنّي ذاهب إلى الجامعة أدرّس فيها، فصار سبيله إلى الله تبارك وتعالى التدريس بالجامعة، لا بأس، صـار سـبيله إلى الله تبارك وتعالى في التجارة فلا بأس.

نرى بعد ذلك ربّ العالمين بيّن أنّ من فضـــله ســـبحانه أطلعهم على بعض الصفحات الغيبيّة؛ لأنّ السين داخلة على الفعل المضارع ليدلّ على الاستقبال، {عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَـى} الإنسان يتمرّض، هذا من عوارض الإنسانية كونه إنسانًا بشرًا في هذه المرحلة من مراحل الحياة الدنيا يمرض وإنْ كان نبيًّا مرسـلًا، وربّ العالمين ذكر لنا قصـص الأنبياء عليهم الصـلاة والسـلام كيف ابتلوا بأمراض -عافاكم الله سبحانه-

{وَآخَرُونَ يَضْـرِبُونَ فِي الْأَرْضِ} وأقول مرّة أخرى: إنّي لا أفسّـر، فلا يأتي أحد بعد ذلك يقول: سيّدنا ابن كثير قال كذا، يشرح واقع حال، لا، وإنّما أنا أفهم، وليس تفسيرًا، وأنا مع التفسير، وليس عندي أي اعتراض، ولكن أفهم وأرسم منهاج دعوةٍ إلى الله عزَّ وجلّ، كيف نكون دعاة إلى الله جلّ وعلا؟ كيف نفكر للمستقبل؟ يا فضيلة الشيخ أنت لما تكلّف شخصًا، ادرس قليلًا مستقبله، ماذا سـيحدث؟ فأنت مطّلع على هذا الإنســان، هو تلميذك وتعرف إمكانياته، تعرف حتى نواياه ربّما، كان يقول لك: إنّي بعد سنة سأفعل كذا، سأتزوّج مثلا، أو بعد

كم شهر سيأتيني طفل، فلابُدَّ أنْ تحسب حسابًا لهذا المستقبل عندما تكلّفه بأمر، فلا تقل أنا كلّفتك بهذا الوظيفة وتبقى دائما عليك هذا الواجب تؤديه، لا، لابُدّ أنْ تكون فقيهًا بأحوال مَنْ تكلّفهم، فكأنّ الله عزّ وجلّ يقول لهم: إنّي فرضت عليكم هذا القيام:-

{يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ۞ قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا} [سورة المزمل: 1 - 2]

وبعض طائفة من المؤمنين اعتبروه في حقّهم فريضـــة، وهذا أيضًـــا فيه آراء للســـلف رضـــي الله تعالى عنهم، فرَبُّ العالمين جلّ وعلا أراد أنْ يبيّن أنّه لا حرج في هذا الدين، أراد أنْ يبيّن بابًا من أبواب رحمته بخلقه سبحانه، فكشف لهم في المســـتقبل أنّه إذا أحد تمرّض هل يبقى هكذا يقوم أدنى من ثلثي الليل ونصـفه وثلثه أم ماذا؟ وقلت لكم: الآيات هنا كأنّها بذور طيّبة تخرج رؤوســها شيئًا فشيئًا، فتتبيّن معالم هذا الدّين.

{وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ}

إذنْ: سـيكون في المسـتقبل قتال، وصـلاتكم أثناء القتال كيف تكون؟ فلم تنزل صلاة الخوف في ذلك الوقت حتى يبيّن كيف يصلّون، ولكن يريد أنْ يبيّن معالم هذا الدِّين، يريد أنْ يبين ويعطيهم أشـياء مسـتقبلية، يفقههم في واقعهم، في واقع الحيـاة، حتى نكون نبهين، نكون منتبهين، نكون أذكيـاء، نخطط، ومن أعظم أســـباب فشـــل الأمّة هو ضـــعف التخطيط، هو الجهل بالواقع، هو الجهل بالإمكانيات، بمجرد أنْ يجتمع اثنان أو ثلاثة رأوا أنفســـهم كأنّما رقاب العالم صارت بأيديهم! أنتم مجرّد اثنين أو ثلاثة ماذا عندكم؟

{فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ}

أي من القرآن الكريم.

{وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ}

ونحن في بدايات ما أنزل، لا توجد صلاة، الصلاة فُرضت في ليلة الإسراء والمعراج، ونحن في بداياتنا، في المرحلة الثانية من سيرة الحبيب صلّى الله تعالى وسلّم عليه وآله وصحبه أهل الطيب، الأيام الأولى من الإعلان عن بعثته عليه الصلاة والتسليم وآله وصحبه أجمعين أيضًا، أفهم من هذا أنّه يريد أنْ يبيّن لهم أنّه سيكون في الدّين صلاة فريضة عليكم، وهناك زكاة ستفرض عليكم، مع أنّي أعلم أنّ بعض المفسّرين رحمهم الله تعالى قالوا: كانت هنالك صلاة ركعتين بكرة، وركعتين عشية، كانت مفروضة، فهذا معنى وأقيموا الصلاة أي التزموا بهذه الصلاة، وكانت الزكاة مفروضة ولكن أنصبتها ما نزلت إلّا بعد قيام دار الإسلام، لكن الزكاة بشكل عام يعني تخرج شيئا من مالك قلّ أو كثر، فهذه كانت فريضة، سواء أخذنا بهذا أو بهذا، فنحن نفهم من هذه الآيات أنّ الله تبارك اسمه يبيّن لنا معالم هذا الدِّين الذي ندعو إليه، بعض معالم هذا الدّين الذي ندعو إليه ستدخل ضمن النقطة الثانية، فإذا التزم الدّاعي ومفروض أنْ يلتزم بما يشرع شيئا فشيئا، وهذه من مواصفات الدّاعي.

إذنْ: هذه كلّها تقوّي الصلة بينك وبين الله سبحانه، إلى قوله تعالى:-

{وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ}

كعبادات محضة، عبادات تعبدية محضة، تقيم العلاقة بينك وبين الله وتعالى بشرائطها، بآدابها، بأركانهاوهكذا.

بعد ذلك نرى ربّ العالمين لما قال:-

{وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا}

هنا انتقل إلى ترك البصـمة في المجتمع، فذكر أهمّ بصـمة، وأقوى بصـمة في الحياة بعد تقوية الصلة الرّوحانية بالله تبارك وتعالى والدعوة إليها في المجتمع، هو الجانب المالي، يا سـبحان الله، ولهذا دائما أقول: لسـتُ مع الذين يقولون "الدنيا جيفة وطلّابها كلاب"

مع احترامي إذا كان هذا القول نُسِـبَ لسـاداتنا، فإذا ثبتت النسـبة أفهم أنّهم يقصدون مَنْ يعبد الدنيا، ولا يقصدون مَنْ يستخدم الدنيا، الذي لا يستخدم الدنيا هذا مقصّـر في أمر الله تبارك وتعالى، ولكن الذي يخدم الدنيا، ويكون عبدًا لها فهذا مسكين.

{وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا}

هنا يبرز معلم لهذا الدين، وهو العناية بالمال، فالمال عصـب الحياة، فلذلك ربّ العالمين جلّ وعلا أنزل أحكامًا كثيرة في الكتاب والسـنّة تتعلّق بالمال، المال محترم، فماذا نريد أنْ نقول عن قدسـية المال واحترام المال أكثر من أنْ نبيّن وننقل ما قاله الحبيب المصطفى صلّى الله تعالى وسلّم عليه وآله وصحبه أهل الصدق والوفا:-

(مَنْ قُتِلَ دُوْنَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيْدٌ) الإمام البخاري رحمه الباري سبحانه

الله أكبر! تدافع عن أرضـك، وتدافع عن مالك، وتمكّن منك الخصـم إلى درجة أنّه قتلك فأنت شـهيد عند الله عزَّ وجلّ! يا سـلام، نحن نعرف الذي يدافع عن الدِّين شهيد، والذي يدافع عن المال شهيد؟ نعم، نعم، الذي يدافع عن المال شهيد هذا بقول الحبيب عليه الصـلاة والتسـليم وآله وصـحبه أجمعين، وهذا نصّ واضـح جدًّا يختصـر لك كلّ ما وردَ من أحكام تتعلق بالإنفاق، تتعلّق بالبيع والشراء، تتعلّق بالمعاملات المنسجمة مع الشرع، والمعاملات المخالفة لشرع

الله تبارك وتعالى، واذهب واقرأ بالفقه أبواب البيع، وأبواب الكفالة والوكالة والصراف والحوالة، وأنواع البيوع، هذه كلّها هنا تبرز معالمها، تدخل كلّها أنّ هذا الدين لا يعنى بتقوية الصلة الروحية، وزيادة الطاقات الروحية وإشراقات الروح، وإنّما يعنى أيضًا بإشراقات المادة، لابُدّ حياتكم الماديّة تكون ناصعة، تكون كاملة، تكون مؤثرة، إلى متى نمدّ أيدينا لأعدائنا، يقرضوننا أو يتصدّقون علينا، ونركض خلف شاحنات الدجاج الفاسد -حشاكم- والبيض الفاسد إلى متى؟ إلى متى والبطانية الموبوءة؟! لماذا؟ نحن أين؟ أين قدراتنا؟ ألسنا بشرًا؟ أليستْ لنا عيون؟ أليست لنا عقول؟ أليست لنا أراضٍ؟ أليستْ لنا عيون ماء؟ أليست لنا آبار؟ أليست لنا أنهار؟!

فإذنْ: الجانب المادّي، العناية بالترتيب المادّي ضروري جدًّا، ومن هنا ذكرت لكم كيف أتاني سيّدي حضرة الشيخ قُدِس سرّه يسألني، وكأنّه يحاكمني، اجلس ابني أنت عندك قطعة أرض؟ قلت: لا والله سيّدي ما عندي، معنى هذا أنّه بيت ما عندك لا يجوز يا ابني؛ قال قُدِسَ سرّه: هل تتكئ على بيت الجامع؟ إيّاك، فبجرّة قلم يخرجونك من بيت الجامع، ويومها كان عندي خادمكم بهاء الدين، أرجو أنْ تخصّوه بدعاء لأنّه قرّر أنْ يأتي ويعيش معي لكن هذه الظروف صارت بهذا الشكل وبقي في الإمارات فأرجو أنْ تدعوا له بالتيسير، قال: لا تظن أنت متكئ على بيت الجامع بجرة قلم يخرجوك يا ابني، وعندما يخرجوك لا تقل لي بيت الوالد في السعدية الحمد لله تعالى واسع وآخذ أهلي إلى بيت الوالد، لا يجوز شرعًا أنْ تُكره زوجتك أنْ تعيش في بيت والدك، في ذلك الوقت كان الوالد على قيد الحياة رحمة الله تعالى عليه في نهايات حياته، لا يجوز لك، من حقّ الزوجة على زوجها أنْ يهيئ لها سكنًا مستقلًا، سكنًا خاصًّا،

نعم لا قدّر الله إذا جرّة قلم وأخرجوك من بيت المسجد تقدر تأخذهم إلى بيت الوالد بضعة أيّام، أو أسبوعًا، على الأكثر أسبوعين، يباح لك لأنّك مضطر، لكن بعد ذلك لابُدّ أنْ تجاهد لأجل أنْ توجد سكنًا، ولو بالإيجار.

انظروا لماذا يعتنون بهذا الجانب، لماذا لأنّ هؤلاء الذين يحيون الدِّين، ما انطمس من الدِّين، وكم نسمع يربونا على الزهد وترك الدّنيا، لا تأكل شيئًا، والبَس مرقّعًا، وكذا وكذا إلى آخره، والله إنّي لأشمّ من خلف هذه الدعوات رائحة كريهة مصدرها أعداء الإسلام، يستغفلون المسلمين، كن زاهدًا ولكن املك ما ملك قارون، تستطيع أنْ تكون زاهدًا، لولا مال السيّدة خديجة رضي الله تعالى عنها كيف كانت الأمور تنسجم مع سيّدنا الرسول صلّى الله تعالى وسلّم عليه وآله وصحبه العدول، لولا أموال سيّدنا أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه، هذا صدّيق الأمّة، هذا أفضل الخلق في الأمّة بعد سيّدنا رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلّم بإجماع أهل الحق، وسيّدنا عبد الرحمن بن عوف، وسيّدنا عمر من قبل ذلك، وسيّدنا عثمان رضي الله تعالى عنهم وعنكم، وعشرات النصوص التي تمدح الإنسان الذي هو قوي بإيمانه، قويّ بماله، قويّ بإمكانياته، كم من النصوص التي تدفع الأمّة لاستثمار طاقاتها، تغري الأمّة بأنْ تغزو حتى الفضاء، قال تعالى:-

{أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا} [سورة سيّدنا نوح عليه السلام: 15]

لِمَ نأتي ونؤول ونقول: رؤية عقلية؟ هو يقول لك ممكن أنْ ترى، لكن كيف ترى؟ الأسباب، هيئ الأسباب؛ والله عزّ وجلّ أذمَّ سيّدنا ذا القرنين رضي الله عنه أم مدحه؟ الله جلّ وعلا مدحه، وذكر لنا قصّته، حتى نتعلّم كيف نستثمر الطاقات، ناس مفتولو العضلات أقوياء أشداء، لكنّهم لا يعرفون كيف يدبّرون

أمورهم، فحرّكهم: آتوني زبر الحديد، ما قال أنا متمكّن وسأبني لكم السدّ، لا، شغّلهم حتّى يستثمر الطاقات الموجودة عندهم.

فإذنْ: حينما نتكلّم عن تقوية الصلة، وعن الارتقاء بالرّوحانية، أبدًا لا يعني أننا نترك الجانب المادّي في الحياة، لا والله، إنْ شاء الله يا ربي كلّ أحبابي، كلّ واحد منهم يصير قارون زمانه، لكن فيما يرضي ربه سبحانه من حيث التمكّن، من حيث الغنى، من حيث الثراء.

في بدايات ما أنزل الله تبارك وتعالى تحدّث عن آتوا الزكاة، وإذا نسير مع ما سار معه أكثر المفسرين رضي الله تعالى عنهم بأنّ الزكاة مفروضة ولكن ليس فيها مقادير وليس بها أنصبة، إذن أصل الزكاة.

ثمّ قال سبحانه:-

{وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا}

يا سلام، هذا أرقى، وأجلّ وأعظم من أي إنفاق؛ لانّ القرضة الحسنة فيها مكاسب عظيمة جدًّا، المال باقٍ فأعط أنت مَنْ أعطيت هذا المال لأخيك بدلَ ما تودعه في البنوك ويأتي ترامب وغيره من السرّاق العالميين في الدنيا هم وأزلامهم يضعون أيديهم على أموالكم، فخير لك أنت تسحب هذه الأموال وتأتي وتقول: تعال يا فلان أنت شاب وقاعد، تفضّل هذه قطعة أرض، اذهب وابذر فيها، تفضّل هذا مبلغ اشتر سيارة واعمل بالأجرة، أو أنت درست الطبّ أو الصيدلة وليس عندك، تفضّل هذا مال اذهب وافتح صيدليّة، وعندما يمكّنك ربّ العالمين أعطني، تعاقد معه حتّى لا تشجّعه على البطالة، حتّى لا تشجّعه على الاتكاء على الغير، ومَدّ اليد للغير، فيقول والله أنا آخذ هذه الأموال عليَّ دَيْنًا برقبتي يا امرأة لنقتصد، لنرتّب أوضاعنا المادّية حتّى نرجع حقوق الآخرين،

هؤلاء أناس وقفوا معنا، هؤلاء أحذيتهم على رؤوسنا، لولاهم ما كنّا نحن نقدر نشقّ طريقنا في الحياة، ونبني مستقبلنا ومستقبل أطفالنا.

فأنت بهذه الحالة شجعته على العمل، ربّيت فيه الأمانة والشعور بالمسؤولية، دفعتَ هذه المعاني إلى أسرته، فوقفت زوجته معه، وإذا أولاده مميزون فسيقفون معه يساعدونه في الحقل والأرض، ليفكّوا الدَّيْن الذي عليهم...

فآثاره إيجابية في نفس المقرض، في نفسية المقترض، وفي أسرهما، وفي دفع عجلة الاقتصاد نحو الأمام، وتحريكها نحو الارتقاء والنماء والاستثمار، هذه كلها، لذلك قال الرسول الأعظم صلّى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلّم:-

(رَأَيْتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي عَلَى بَابِ الْجَنَّةِ مَكْتُوبًا: الصَّدَقَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، وَالْقَرْضُ بِثَمَانِيَةَ عَشَرَ، فَقُلْتُ: يَا جِبْرِيلُ مَا بَالُ الْقَرْضِ أَفْضَلُ مِنَ الصَّدَقَةِ؟ قَالَ: لِأَنَّ السَّائِلَ يَسْأَلُ وَعِنْدَهُ، وَالْمُسْتَقْرِضُ لَا يَسْتَقْرِضُ إِلَّا مِنْ حَاجَةٍ) الإمام ابن ماجه رحمه الله جلّ ثناؤه.

هذه بالحسابات المادّية، القرض أعلى بكثير من الصدقة، أين تعطي دينارًا يعود لك عشرة دنانير؟ وأين تعطي دينارًا يعود لك ثمانية عشر دينارًا؟

هذا جانب الحسابات المادّية وهو جانب مهم، والجانب الأرقى صلتك بالله عزّ وجلّ، ما قال وأقرضوا إخوانكم، وأقرضوا المحتاجين، وأقرضوا الفقراء، وإنّما نسب القرضة إليه سبحانه حتّى يعزّز مكانتها في قلبك أيّها المسلم، أيّها المؤمن، وأقرضوا الله، فأنت عندما تعطي قرضًا لأخيك المسلم فأنت تعطيه لله عزَّ وجلّ، قال: وأقرضوا الله، ولا يقولنّ قائل المعنى: اصدقوا، اجعلوا النيّة لله، لا، هذه مفروغ منها، فلا يأتي تكرار دائمًا للإخلاص، فالإخلاص روح العمل، ومن دون إخلاص لا يقبل العمل، ولكن قالوا: اقرضوا الله، فالذي يعطي واو

الجماعة أنتم، والذي يأخذ هو الله جلَّ جلاله، سمّاه قرضًا حسنًا، من الحسن، من الجمال، من الكمال، من الرقة، ماذا تريد حســـن؛ وربّما هذه المعاني كلّها تدخل تحت عباءة الحســـن، والحســـن هنا في هذه جزئيات التي يذكرها في هذا المجال المادّي، وكذلك قبلها جزئيات من قيام الليل وتلاوة القرآن الكريم، مع أنّه لم ينزل شيء من القرآن الكريم، ولكن قلت لكم إنّه يبيّن معالم مستقبلية لهذا الدِّين، فهذه كلّها جزئيات، كلّها تنطوي تحت كليّة عامة شاملة جامعة وهي كلية الخير، هذه كلّها صور من صور الخير في قوله عزّ شأنه:-

{وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ} [سورة المزمل: 20]

سواء أكان هذا الخير كلمة طيّبة، حنانًا، شفقة، رِقة، استشعر بها المقابل حبًّا، إجلالًا، تكريمًا وتعظيمًا، صدقةً، زكاةً، صلاةً، ذكرًا، تسبيحًا.

ومنذ البدايات الله عزّ وجلّ بيّن لكم أنّه لا يوجد بدعة في الجزئيات، طالما تدخل تحت من خير وهذا من خير، هذا من أمرنا فلا يأتي أحد يتعالم عليكم ويقول: النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلّم قال:-

(مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدّ) الإمام البخاري رحمه الله جلّ جلاله.

لا هذا أمر، بيان بأنّه منه، هو من خير، هذا من أمر الله تبارك وتعالى، ينبغي هذا الخير أنْ تقدّمه لنفسك، أنت تعمله لربّك، ولكن أنت المستفيد الأول، الله عزَّ وجلّ غنيّ عن عباده، وهنا أكّد منذ البداية، في بداية ما أنزله، ثاني ســـورة، أو ثالث سورة نزولًا قال:-

{وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ}

ما قال: ما تفعلوا، أو وما تؤدوا، قال:-

{وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ}

يبيّن أنه أيّها المسلم انظر أمامك، انظر أمامك، قدّامك، قدّم لمستقبلك:-

{وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ} [سورة الحشر: 18]

لماذا؟ لأنّه بناء المستقبل، التخطيط للمستقبل من أسس هذا الدِّين وقدموا لأنفسكم حتّى في الزواج، حتى في كلّ حركة حياتك، كلّها تقديم للأمام، عمّر ما أمامك، عمّر قبرك، عمّر موقفك حين تنشق القبر عنك، موقفك هناك إلى أين؟ في ظلّ عرش الرحمن سبحانه، أم نعوذ بالله تبارك اسمه في عرق الجبين والشدائد والأهوال والظلمات، قدّم وفكّر للمستقبل البناء الحضاري، فكّر فيه على هذه الأرض، وفكّر بمأواك، بناء مأواك بعد الانتقال من الأرض.

{وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ}

ومن للتبعيض، ويصح بيانًا، بمعنى بيان أنّه يقدم خيرًا لا يقدم شرًّا، نعوذ بالله تبارك وتعالى، قدّم خيرًا، بعد ذلك أيضًا تبعيض يعني أيّ جزئية من جزئيات الخير، ولو ذرة، سيأتي بعدها ويقول:-

{فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ} [سورة الزلزلة: 7]

فما النتيجة؟ النتيجة في قوله تعالى:-

{تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا} [سورة المزمل: 20]

إذنْ: من شخصية الداعي عمل الخير، ومن معالم هذا الدِّين النقطة الثانية أنّه يدعو للخير، من معالم هذا الدِّين أنّه يؤسس للإيمان بالبعث بعد الموت، بالحياة في القبر، بجنّة نسأل الله سبحانه أنْ يجعلنا جميعًا من أهلها، ونارٍ أعوذ بالله جلّ وعلا منها.

وهكذا تظهر معالم هذا الدِّين، ممكن تفكّر لو أنّ الناس عملوا بهذا المنهاج فكيف سيكون وجه الحياة؟ أكيد يكون وجه الحياة مشرقًا، يكون كما في زمن

سـيّدنا عمر بن عبد العزيز رضـي الله تعالى عنه، لا يوجد فقير حتى يعطوه الزكاة، وذاك الوقت لا يوجد مظلوم، النّاس ردت إليها مظالمها، وهكذا فحياة مشرقة، حياة مضاءة، حياة الرحمة والمودة والعطف.

بعد ذلك يرجع إلى قضـية خطيرة جدًّا هنا، لأنّه لا تظن أنت مشـيت في تقوية الصـلة بالله تبارك في علاه، وفي تقوية الصـلة بالمجتمع، وارتقيت فيها مراتبَ فلا زلت مخطئًا، ولا زلت فيك عيوب، ولا زلت فيك ذنوب، فلذلك يجب عليك مع هذه الأعمال العظيمة أنْ تستغفر الله جلّ جلاله:-

{وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [سورة المزمل: 20]

سبحانه وتعالى، حتّى لا تأخذك نفسك، حتى لا تكتفي بما وصلت، لا بل ترنوا لما هو أرقى.

وقبل فترة أحد الأحباب حفظه الله تبارك وتعالى سـمعني أقول: يا أرحم الراحمين ارحمنا وأوصلنا إليك، قال أسمعك تكثر من هذا الدعاء، ألَم يصل المرشـد إلى الله عزَّ وجلّ؟ من أجيز بالإرشـاد؟ وبالتأكيد عندما تأتي من باب التعريف نعم المرشد هو الإنسان الذي منّ الله تبارك وتعالى عليه بالوصول، جعلنا الله جميعًا من أهل الوصول، بجاه سيّدنا الرسول صلى الله تعالى وسلّم عليه وآله وصـحبه الثقات العدول، ولكن هل هذا يعني أنّه درجات محدّدة في مقام الوصول، وأنّه أخذها كلّها؟ لا، يبقى العبد محتاجًا إلى الله عزّ وجلّ:-

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ} [سورة فاطر: 15]

فكان هذا جواب خادمكم: نعم المرشد وصل إلى الله عزّ شأنه والحمد لله ربّ العالمين بما منّ على عباده المرشدين، وأسأل الله عزّ وجلّ أنْ يمنّ على الجميع بالوصول إليه جلَّ جلا له وعمّ نواله، ولكن في الوصول هنالك أيضًا مراتب،

وفي الوصـــول مخاطر، وفي الوصـــول ما يليق بالمقام، هناك تقصـــير، هناك خلاف أوْلى، ونحن غير معصومين، فلذلك قال: واستغفروا الله، يا مَنْ تقومون الليل، يا مَنْ تقيمون الصلاة وتؤتون الزكاة وتقرضون الله قرضًا حسنًا وتقدّموا لأنفســـكم من الخير ما مكّنكم الله عزَّ وجلّ فيه يجب عليكم أنْ تســـتغفروا الله، {وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ}

الحقيقة فيه من مواصـــفات الداعي، أنّ الداعي دائم الاســـتغفار إلى الله جلّ في علاه، كيف لا وهذا حبيبهم صلّى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلّم:-

عَنْ سَيِّدِنَا أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ:-

(أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: وَاللَّهِ، إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ وَأَتُوبُ فِي كُلِّ يَوْمٍ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً) الإمام أحمد رحمه الفرد الصمد عزّ شأنه.

وفي رواية أخرى عَنِ سَيِّدِنَا عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمَا قَالَ:-

(إِنْ كُنَّا لَنَعُدُّ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمَجْلِسِ الْوَاحِدِ مِائَةَ مَرَّةٍ: رَبِّ اغْفِرْ لِي، وَتُبْ عَلَيَّ، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ) الإمام أبو داود رحمه الغفور الودود جلّ ذكره.

فحتى لا تأخذك نفسك أيّها العبد، وتقول أنا مرشد، وأنا عالم، أستغفر الله، خادم، أستغفر الله، استغفر نعم استغفر الله عزّ وجلّ.

ثمّ فيه معنى روحي لطيف جدًّا، وهو أنّه ربّك ســـبحانه غفور رحيم، لاحظوا غفور اسم من أسماء الله جلّت صفاته، واستغفروا فيها حروف الغفور، فكأنّ الله جلّ جلاله دلّك على وسيلة من وسائل محبّته، ومن وسائل الارتباط به، حتى لو لم يكن عندك ذنوب، أنت استغفر، وهكذا نفهم استغفار الرسول الأعظم صلّى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلّم، لأنّ تشبّث بسبيل من سبل المحبة لله تبارك

وتعالى، والحضور مع الله سبحانه، والاستكانة لله عزّ وجلّ، والتطلّع لرحمة الله جلّ في علاه، فإذا شعر العبد أنّه استغنى -نعوذ بالله تبارك وتعالى- فقد طغى:-

{كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى ۞ أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى} [سورة العلق: 6 - 7]

وقد يقول قائل أنا أصلّي وأصوم لماذا أستغفر وأبكي؟ لا والله استغفر وابكِ واكسر ظهرك.

فلاحظ الارتباط القويّ بين المَعْلَم الأوّل في الآية الأولى، وصدر السورة يا أيّها المزمّل صلّى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلّم، قم الليل إلا قليلا، قوّة الصلة بالله تبارك وتعالى على أساس الحضور بين يدي الله سبحانه وبين آخر السورة:-

{وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ}

هذا هو السبيل لغفران ربّ العالمين تقدّست أسماؤه، هذا هو السبيل لمحبّة الرحيم جلّ جلاله وعمّ نواله، رسمته لكم في هذه السورة المباركة، هكذا أفهمها.

إذنْ: هذه السورة رسمت معالم المرحلة الثانية من حياة سيّدنا رسول الله صلّى الله تعالى وسلّم عليه وآله وصحبه ومَنْ والاه، وهو قدوتنا، فهي معالم لنا إن اخترنا أنْ نتخذ إلى الله سبحانه سبيلا، هذا السبيل هو سبيل الدعوة إلى الله عزَّ وجلّ، تريد أنْ تكون داعيًا إلى الله تعالى خذ هذا السبيل، تعلّم هذه المعالم، ادرس هذه الكليات، وهذا لا يكفي وإنّما تفاعل معها اعتقادًا، والتزاماً، وسلوكًا، وآثارًا.

{إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ} [سورة يس: 12]

فينبغي أنْ يكون العبد هكذا.

إذنْ: أحبتي الكرام لا زلنا في هذه المرحلة وهي مرحلة إعداد الداعي، ولكن هذا الداعي لبروزه وإشراقاته وإضاءاته، بهذا الشكل صار منارًا لكلّ طيب، لكلّ صاحب فطرة نقيّ، لكلّ إنسان يريد أنْ ينجوا من ظلمات يحياها، وأنتم ترون أنّ هذا التعلّق صار مباشرة من دون أيّ منازعة، من دون أيّ محاورة ولا جدال قوي ولا نقاش، مباشرة دخل وتمسّك بهذا النور، سيّدنا أبو بكر، وسيّدنا عبد الرحمن بن عوف، وسيّدنا عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنهم. الذين آمنوا في الأيّام الأولى من الإعلان عن بعثته صلّى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلّم، وأعتقد أنّه سيكون واضحًا عندكم لماذا أقول الإعلان عن نبوته حتى أمسح موضوع السريّة من أذهانكم نهائيًا، ليس دكتاتورية ولا إلزامًا لكم برأي أعتقده، لا، وإنّما إحقاقٌ للحقّ، وإزهاقٌ للباطل؛ لأنّه هذا الشيء الذي تمسّكوا به بأنّ الدعوة بدأت سرّية هو من أهواء النفوس؛ لأجل أنْ يحيكوا خيوط المؤامرات في الظلمات، وليس في النور، مع أنّ الإسلام نور، والرسول الأعظم صلّى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلّم نور، فأنّى للنور أنْ يخبوا، وأنْ يكون في سرداب مظلم؟! لا يمكن أبدًا.

فحتى يكون الكلام واضحًا والحمد لله تعالى، إنْ شاء الله سبحانه واضح، أمّا دخوله إلى دار الأرقم بن أبي الأرقم رضي الله تعالى عنه فلمعاني أخرى، منها:-

أنّه ينجو قليلا، يبتعد قليلا عن الاحتكاك بهؤلاء القساة الغلاظ، وهذه إنْ شاء الله تعالى عندنا لها شرح، أكيد ستسألون عن هذا الموضوع، أنا أعتقد هذا موضوع ساخن قليلا والله تعالى أعلم، ولكن من البداية أُمِرَ عليه الصلاة والسلام وآله

وصـحبه الكرام أنْ يعلن أنّه نبيّ، وأعلن أنّه نبيّ لمَنْ؟ أليس لأمّة؟ أليس للناس؟ فلابُدَّ أنْ يبيّن هذه الرسـالة، ولكن هناك وسـائل البيان، فليس من البداية ذهبوا وقف على المنبر، أو على الصفا، وقال أنا رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلّم، لا، بل أراد أنْ يطمئنّ ويتثبّت ويتحرّى عن الموضوع، ويستقر فؤاده صـلّى الله تعالى عليه وآله وصـحبه وسـلّم، ويطمئن، ولا ننسـى أنّه هو رسـول الله عليه وعلى آله وصـحبه أفضـل الصـلاة والسـلام، ومعصـوم، وأنّه يسـير في هدايات ربّ العالمين سـبحانه، ولو كان هذا ينافي مراد الله عزَّ وجلّ عياذًا بالله ـ تبارك وتعالى ـ لأعاده الله عزَّ وجلّ إلى مراده، وإلى المسـار الذي يريده من عبده.

فإذنْ: هذه السـورة تجعلها أمامك، وتأخذ زادك منها، خاصـة في هذا العصـر الذي فقدنا فيه دار الإسـلام، نحتاج إلى الإعداد المنضـبط، الإعداد القويّ، الإعداد الذي يسـتطيع بعد ذلك أنْ يتحمّل أعباء الدعوة إلى الله جلّ في علاه، بحيث سـعد الله عندما يقولون له: اترك مكانك هذا واذهب إلى المكان الفلاني يقول: سـمعًا وطاعةً وحبًّا وكرمًا واعتزازًا، أو يقولون: سـعد الله اترك أموالك ووظيفتك واذهب إلى المكان الفلاني، يقول: الله! ما أحلاه! يا سـلام! لقد جاءني الخير، لقد جاءني النور، لقد جاءني السـرور، لقد جاءني الفرج، أنا اختاروني والحمد لله، مع أني لست أهلًا؛ ولا يقول: كيف أنا هذا راتبي، كيف هذه أرضي، كيف هؤلاء أولادي، هذا كلّه معناه أنّ هناك قصـورًا في الإعداد، قصـورًا في التربية.

فلذلك إذا أردنا أنْ نتحقّق بوظيفة الداعي وأختم بالجواب على هذا السـؤال، إذا أردنا نتحقق كيف نتحقق بإعداد أنفسـنا الإعداد التام الكامل؟ لماذا؟ لأنّ مجمل

تعريف الدعوة إلى الله تبارك وتعالى عندي -وسوف أذكر لكم دليله- مجمل تعريف الدعوة إلى الله سبحانه، أو وظيفة الداعي هو: إخراج النّاس من الظلمات إلى النور، فالنّاس الآن على الكرة الأرضية مليارات من البشر، وملايين منهم مساكين في الظلمات، فمَنْ يتحمّل مسؤوليتهم؟ أنت بقدر ما تستطيع أنْ توصل النور الذي عندك، وإنْ قصّرت فأنت مسؤول أمام الله عزَّ وجلّ، أنتم يا مشايخ كلّ واحد على قدر طاقته، ولماذا الدعوة إلى الله جلّ وعلا معناها إخراج الناس من الظلمات إلى النور، أنا قبل تقريبًا أربع سنين في البحرين -الله تعالى يحرسها ويحميها من الأشرار ويجعلها منطلق الخير والبركة والنور- جالس رأيت في المكتبة -في مكتبي توجد مكتبة- كتابًا عن الدعوة إلى الله عزَّ وجلّ، وكتابًا آخر، وكتاب آخر، كلّها تعرف الدعوة إلى الله تعالى، أحدها يقول: إنّ معناها: الدعوة إلى الإسلام، وآخر يقول: الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، وما وجدت أحدًا يقول: إخراج الناس من الظلمات إلى النور، عندي الدعوة هي إخراج الناس من الظلمات إلى النور، لأنّ قلبي هكذا قال، والله أنا لا أقبل هذا، مثلما تعلّمنا من ساداتنا وأرجو أن يكون هذا العلم مشاعًا بين أحبابي ومَنْ أخدمهم، فلا تقبل ما يقع في قلبك إلّا بشاهدَيّ عدل، فيجب أنْ يكون عندك نصّ، إمّا من الكتاب أو السنّة، أو من كليهما، والله تبارك تعالى هو عليم خبير، قلت في نفسي: أنت مصدرك الأوّل القرآن الكريم، -فسبحان الله العظيم - تشرّفت بكتاب الله عزَّ وجلّ، وأوّل ما فتحت القرآن الكريم، وإذا بسورة سيّدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام، فما هذه السورة؟ أوّلًا سيّدنا إبراهيم رمز للدعاة إلى الله عزَّ وجلّ، لماذا لم تظهر لي سورة البقرة؟ أو مثلا سورة العنكبوت أو النمل؟ -فسبحان الله- انظروا تقدير

ربّ العالمين، وإذا أتفاجأ، أنا ما حافظ السورة كلّها، حافظ منها مقاطع، أتفاجأ الآية الأولى يقول الله -سبحانه وتعالى- فيها لسيّدنا رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلّم، بعد أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم:-

{الر كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ} [سورة سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام: 1]

سبحان الله، أوّل ما فتحت القرآن الكريم تشرّفت بهذه السورة، وبهذه الآية الكريمة، إذنْ نزل الكتاب، لماذا؟ اللام للتعليل لتخرج الناس من الظلمات إلى النور، وقد يقول قائل: اللام للعاقبة، نعم المعنى ذاته، فأنت عندما تنشر معالم هذا الكتاب تدعو لمعالم هذا الكتاب ويؤمنون به فستكون العاقبة أنَّ الحياة ستكون منوّرة، فيخرجون من الظلمات إلى النور بإذن ربّهم إلى صراط العزيز الحميد. فقلتُ بما أنّ الله تعالى فتح، دعني أكمل مع السورة، فوصلت الآية الخامسة -سبحان الله العظيم- أيضًا رقم (5)، في نهاية الصفحة في مصحف المدينة صلّى الله تعالى وسلّم على ساكنها وعلى آله وصحبه أجمعين، وإذا ربّ العالمين يخاطب سيّدنا موسى عليه الصلاة والسلام فيقول له بعد أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، أو يخبر عنه:-

{وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ} [سورة سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام: 5]

حتّى نفهم خصائص ديننا، فمن خصائص ديننا أنَّ هذا الدين جاء لعموم الناس، فلمّا الخطاب لخير الناس صلّى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلّم، ولخير

الخلق بأبي وأمّي ونفسي هو عليه الصلاة والتسليم وآله وصحبه أجمعين، قال له: لتخرج النّاس من الظلمات إلى النور، رسالة سيّدنا موسى عليه الصلاة والسلام خاصّة لقومه، قال له أنْ أخرج قومك من الظلمات إلى النور، وبالتالي فإنّ مسار الدعوة من موكب الأنبياء عليهم الصلاة والتسليم إلى خاتِمِهم وخاتَمِهم صلّى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلّم، الدعوة هي إخراج النّاس من الظلمات إلى النور، الظلمات مجموعة والنور واحد، وهذا موضوع آخر ربّما الله سبحانه يشرّفني به إنْ شاء الله تعالى إنْ كان في العمر بقية، وإنْ شاء ربّ البرية جلَّ جلاله وعمّ نواله، عندي ملاحظات أذكرها إنْ شاء الله تعالى في المجلس القادم، مجلس المشورة حول المرحلة الثانية حتى أنتقل إنْ شاء الله تعالى إلى المرحلة الثالثة.

وأسأل الله تبارك وتعالى أنْ يفتح لكم، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين فاستغفروه إنّ ربي كان غفورًا رحيمًا سبحانه.

سبحانك اللهمّ وبحمدك أشهد أنْ لا إله إلا أنت، نستغفرك ونتوب إليك، سبحان ربّك ربّ العزّة عمّا يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله ربّ العالمين أستودعكم الله العظيم الذي لا تضيع ودائعه، والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.